المحامية الأستاذة مريم الشامي

"عذراً أيها الشيخ .....فأنت لست وكيلي "

يعتبر عقد الزواج لدى المسلمين الشيعة التابعين للمذهب الجعفري الإثنى عشري عقدا قائماً وصحيحاً وملزماً لطرفيه البالغين، حينما يلتقي العرض مع القبول، برضا وإرادة طرفيه بحرية ووعي وصراحة، على سنّة الله ورسوله، بعد تحديد نوع العقد: لناحية مدته، والمهر المتفق عليه .

كما لايشترط من الناحية الدينية وجود رجل دين يشرف على عقد الزواج ، وإن كان من ماضي الأيام قد جرت العادة ان يتواجد رجل الدين، لضبط وتوثيق واقعة تبادل العرض والقبول بين طرفي العقد، ولتدوين ما تمّ الإتفاق عليه من مهر معجل أو مؤجل، أو بعض الشروط: كقيمة النفقة، او مدة الحضانة، او إعطاء العصمة للزوجة او غيرها ....

وبما ان عدم اشتراط وجود رجل دين لتنظيم عقد الزواج، او الإشراف على مراسيمه غير الموجودة اصلاً في المذهب الجعفري، جعل منه عقداً أقرب ما يكون الى العقد المدني منه الى العقد الديني.

ولكن ورغم رحابة الدين الإسلامي الحنيف، وإنفتاحه ، وتحرير المذهب الجعفري الإثنى عشري الكريم، عقد الزواج لدى ابنائه من سطوة رجال الدين وتدخلهم به ، بقيت العادات والأعراف والتقاليد تصادر إرادة أبناء المذهب الجعفري، وتفرض عليهم طقوساً تخالف المنطق الطبيعي للأمور وتجافي الروح الحقيقية لمبادئ المذهب الجعفري وإجتهاداته وإجماعه ، وتخالف الكثير من نصوص القانون الوضعي...

– من أبرزالعادات غير المنطقية والملتصقة بعقود الزواج، والتي دأبت نساء المذهب الجعفري سلوكها، بمعية أغلبية رجال الدين، تتمثل بتوكيل المرأة للشيخ بغية تزوجيها بحيث

تتبدى وتظهر جلية عندما يتفق الطرفان على إجراء عقد زواج دائم، فيبادران الى دعوة شيخ البلدة او المحلة، او يذهبان الى المحكمة الشرعية الجعفرية فيحضران شخصياً أمام الشيخ ويعلنان رغبتهما بالزواج، ويطلبان منه توثيق الزواج في سجلاته ،او سجلات المحكمة ، من أجل تدوينها لاحقاً في سجلات الأحوال الشخصية، أودوائر النفوس المختصة، حفظاً للنَسَبْ وتسلسل النسل والتنظيم الإداري ،الإحصائي.

إلا ان الشيخ الكريم يطلب مباشرة من المرأة العروس بأن توكّله نفسها لتزويجها من الرجل العريس الحاضر قبالتها، في نفس الزمان والمكان، ولا يفصلهما سوى مسافة شرعية، سرعان ما تزول عند لحظة إقتران العرض بالقبول .... وبالفعل المرأة العروس توكّل الشيخ دون ان يبرر لهاالسبب، او الخلفيات، او الحكمة من هذا التوكيل، ولأنها في حاضرة دينية، وحضرة رجل دين، وبسبب ما تربت عليه من إحترام، ممزوج بالخوف والفزع من كل ما هو ديني ... تقول للشيخ بعد ثلاث نداءات، يتخللها صمت التقاليد، "نعم أنت وكيلي " رغم أنه بإمكانها دينياً وقانونياً ولفظياً ان تكون البادئة وتقول لعريسها "زوجتك نفسي ".....

هكذا وبكل بساطة تنتزع وكالة المرأة بإسم العادات والأعراف، ويسوّق لها زوراً على انها أمور دينية، ويطمس الصالح بالطالح، وتعتقد الناس جهلاً أنها تطبّق شعائر ربانية وأن مخالفتهم لها ستدخلهم النار ويلقون بئس المصير...

بكل أسف هذه هي الآليات التي تُعتمد عند إجراء عقود الزواج لدى المشايخ والمحاكم الجعفرية دون مراعاة حرية المرأة في خياراتها الشخصية وفي قرار زواجها.

فإزاء هذا الواقع وهذه الوكالات التي تنتزع من النساء باسم العادات والتقاليد والأعراف الغارقة بالتاريخ ، يلاحظ بان مفهوم الوكالة بمعناه القانوني الحقيقي الصرف، ينسف أمام المحاكم الشرعية الجعفرية، كما وينسف معه ويعدم حق من حقوق الأصيل وهو هنا المرأة عند إسناد وكالتها خوفا الى رجل دين شيخ قد لايزيد علماً وعملاً "وأدباً وفصاحة وايماناً منها.

وعليه فإن فكرة إسناد وكالة المرأة لرجل الدين عند رغبتها بعقد قرانها على رجل، هي عادة وليست نصاً دينيا، وبالتالي يجب التخلص منها، وإعادة الأمور الى نصابها الشرعي والقانوني العملي السليم عبرالسماح للمرأة في عقد الزواج الجاري امام المحاكم الشرعية الجعفرية، أو أمام اي شيخ ان تعّبر شخصيا عن رغبتها بالزواج اذا كانت حاضرة دون إسناد وكالتها الى رجل الدين الشيخ لأن المرأة بداية هي المبادرة في عقد الزواج ومن عندها تبدأ إجراءات العقد، وهذا شيئ مقدس ، وحق خصها به المذهب الجعفري الرائع، ولا يمكن مصادرته بإسم الحياء والخجل والصمت الذي اصبح يضج آذاننا بوكالات ووكالات تنتقص من قيمة المرأة وأهليتها، ويشكك بقدراتها العقلية ، وترّمز الى عدم قدرتها على التلفّظ ببعض الكلمات التي تعبر فيها عن إرادتها بإختيارها هذا الرجل او ذاك شريكا لها بالسراء والضراء وعلى سنّة نبينا محمد "ص"وعلى شريعتنا الإسلامية السمحاء.

عدا عن أن إسناد الوكالة من المرأة الى رجل الدين الشيخ لا يأتلف، لا بل يتناقض وفكرة عدم إشتراط وجود رجل دين في عقود الزواج، بمعنى آخر أن الوكالة المسندة من المرأة الى رجل الدين خجلاً، حياء او خوفاً، يجعل من هذه الوكالة غير ذي جدوى، كي لا نقول شيئاً آخر لانه بحضور الأصيل لا حاجة للوكيل...فعذراً ايها الشيخ الكريم ولأنني حاضرة بالأصالة عن نفسي فأنت لست وكيلي.